مجلد 28 عدد 1 - 2 2013 السلسلة الجديدة

عدد خاص بأعمال المؤتمر الثالث للجغرافين المغاربة
المحمدية 17-18 يناير 2013

الجزء الأول : التحولات المجالية والسوسيو اقتصادية

الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة
ANAGEM

مجلة جغرافية المغرب

مجلد من إصدار
الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة

بدعم من:
مجلس الجالية المغربية بالخارج
وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية

28

مجلة جغرافية المغرب

Revue de Géographie du Maroc

2013

Volume 28 N° 1 - 2 2013 Nouvelle Série

N° dédié aux actes du 3ème congrès des géographes marocains
Mohammédia 17-18 janvier 2013

1er partie : Mutations spatiales et socio-économiques

الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة
ANAGEM

Revue de Géographie du Maroc

Volume publié par
L'Association Nationale des Géographes Marocains

avec le soutien du:
Conseil de la Communauté Marocaine à l'Etranger

et de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Mohammédia

CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc

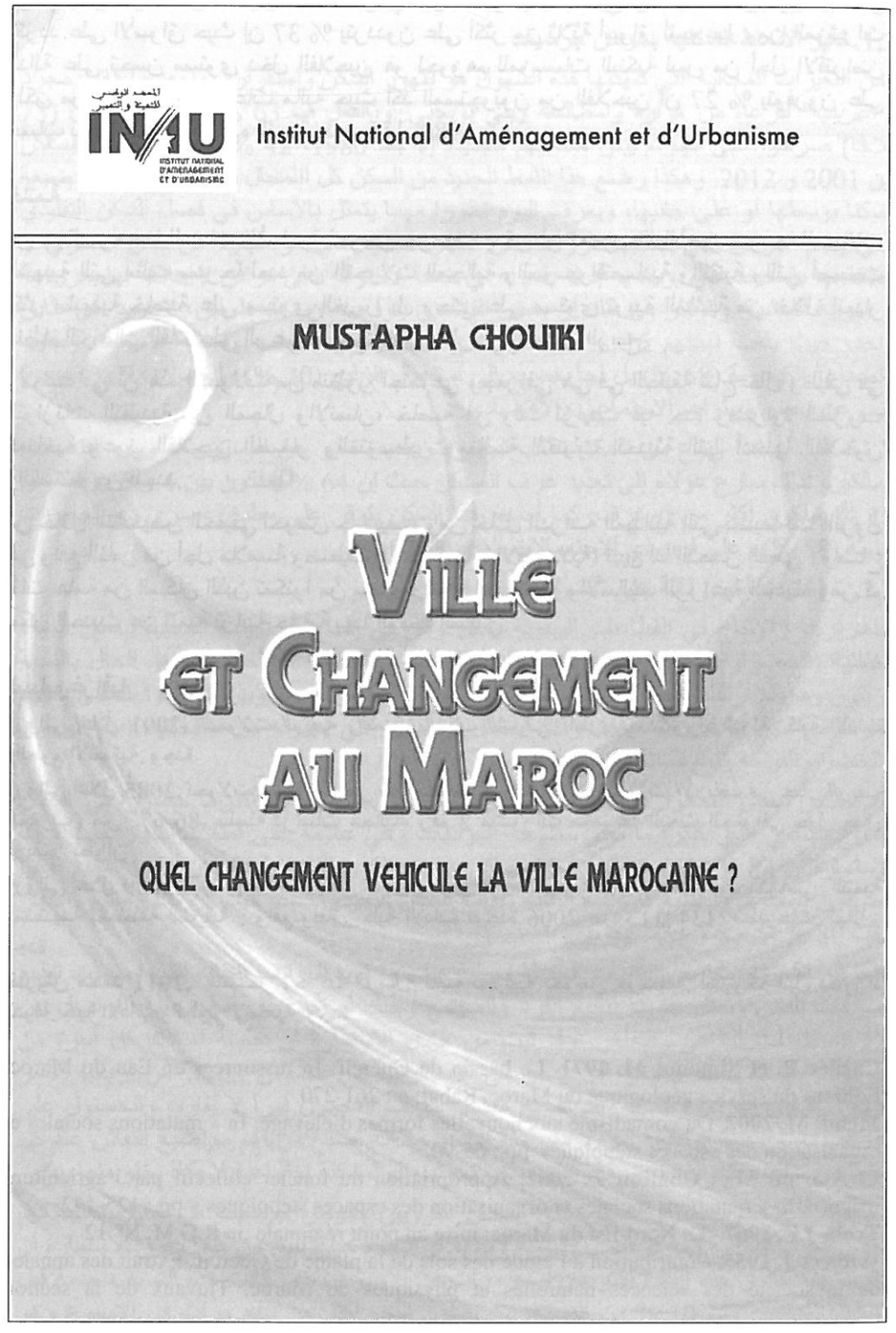

المقاربة التشاركية أداة لتنمية الدوار بالمجالات الريفية المغربية، حالة دوار أزرو بدير الأطلس الكبير الغربي

موسى المالكي*، سناء سريفل*، فاتح عبد العالي* وموسى كرزازي*

ملخص

أضحت تنمية المناطق الجبلية تشكل أولوية ضمن برامج واهتمامات الدولة، لتدارك التأخر الاقتصادي والاجتماعي الذي طال هذه المجالات خلال عقود من الزمن، فيما كان يطلق عليه -"المغرب غير النافع"، مما نتجت عنه تفاوتات هائلة في مختلف ميادين التنمية بين المناطق الحضرية الساحلية، وأساسا المحور الممتد من طنجة إلى الجرف الأصفر، وبين مناطق المغرب العميق ومنها الجبال المغربية.

سيعالج المقال سبل النهوض بالجبال، باعتماد مقاربة تشاركية تدمج المعنيين بمشاريع التنمية بشكل مباشر في صياغتها وتتبعها وتنفيذها. في هذا الإطار، تقدم مجموعة البحث حول الأرياف، من خلال توظيف أدوات الجغرافية التطبيقية كاتجاه متصاعد الأهمية في الألفية الثالثة، نتائج دراسة ميدانية، شملت تشخيصا معمقا وتوجهات لإعادة هيكلة وتنمية دوار أزرو بقدم جبال الأطلس الكبير الغربي بإقليم الحوز.

Résumé

Le développement de la montagne constitue l'une des priorités de l'Etat marocain dans sa politique d'aménagement territorial, afin de réduire l'écart économique et social dans ces espaces longtemps marginalisés, connu sous « le Maroc inutile ». En effet, cette politique a contribué aux déséquilibres entre le littoral, essentiellement, sur l'axe atlantique Tanger-Jorf Lasfar, et le Maroc profond, y compris la montagne.

Cet article traite la problématique du développement de la montagne à travers une recherche sur le terrain, basée sur l'approche participative. Dans ce cadre, le groupe de recherche sur le monde rural présente les résultats de cette étude, en se basant sur l'outil de la géographie appliquée portant sur un diagnostic approfondi, et des orientations pour la restructuration et le développement du Douar Azrou, situé au piémont du Haut Atlas Occidental dans la province du Haouz.

Abstract

The Mountain regions lately gained priority in the state development programs to redress the imbalance, marginalization, exclusion, and injustice that these areas were subjected to in the last decades-what was known as "non-useful Morocco". This imbalance has led to huge disparities in all development sectors between littoral urban spaces and precisely the axis between Tangier and El Jorf Lasfar and the remote areas including mountains regions.

This article will address development issues related to mountains through a participatory approach that involves the concerned people with the development projects in the design, follow up, and implementation. In this context, the research group, propose via applied Geography tools results of a field study with deep investigation and orientations of restructuration and the development of Douar Azrou in the foot of occidental High Atlas in the Houaz region

السياق العام للبحث ومقدمة منهجية

يندرج المقال في إطار مقاربة جغرافية تطبيقية وتشاركية، يمكن اعتمادها ضمن بحوث معالجة إشكالية تهيئة وتنمية المناطق الجبلية بالمغرب العميق. كما يعتبر ثمرة لمساهمة مجموعة البحث حول الأرياف في صياغة مشروع إعادة هيكلة دوار أزرو، من أجل تنميته الشمولية لاحقا، بتحسين

إطار ظروف عيش ساكنته[1]. ويهدف المقال إلى تقديم نتائج دراسة ميدانية تحت الطلب، وهي دراسة "نموذجية" ومحدودة في المجال بغرض تعميمها لاحقا، على الدواوير المشابهة من حيث خصوصياتها الجغرافية وإشكالياتها السوسيو-اقتصادية. إن إنجاح المقاربة يمكن أن يساهم في تهيئة وتنمية تلك المناطق، وفي فك العزلة عنها، وتعزيز اندماجها إقليميا وجهويا. خاصة وأن مشروع دوار أزرو، يعتبر نموذجيا، ويدخل ضمن تصور "دوار القرن الحادي والعشرين".

اعتمد الفريق مقاربة تشاركية في إنجاز التشخيص السوسيومجالي لمؤهلات وإكراهات الدوار، وفي تحديد الفرص والمخاطر (جدول 1)، من خلال إجراء مجموعة من المقابلات مع مسؤولي الجمعيات المحلية والأشخاص المصادر خلال شهر أبريل 2011، عززت بزيارات متكررة للميدان وتنظيم لقاءات مع مسؤولي المصالح الرسمية (عمالة إقليم الحوز ووكالة الحوض المائي لتانسيفت)، وإنجاز 20 استمارة ميدانية موجهة للصناع التقليديين. وتعتبر النتائج الواردة، أيضا ثمرة لبحث دكتوراه حول التنمية التشاركية للمناطق الجبلية[2]، ولبحث إجازة حول نفس الميدان[3].

انطلاقا من هذه الأرضية سيحاول المقال الاجابة عن الإشكالية التالية:

تتطلب تنمية المناطق الجبلية تبني مقاربة تشاركية، ونعني بها تمتيع التدخلات التنموية في المناطق الجبلية، بإشراك حقيقي للساكنة المحلية في مختلف مراحل المشاريع المرتبطة بالدواوير، بما في ذلك التصور والبناء والتنفيذ والتتبع. فالمشاريع ذات طابع المنفعة الجماعية التي تحتضنها وتتبناها الجمعيات والتعاونيات، تحتاج كشرط أساسي لنجاحها واستمراريتها؛ أن تشرك ما أمكن الساكنة المحلية، وتتشاور معهم في الوقع المرتقب للمشروع إيجابيا، أو من حيث التأثيرات الجانبية (في حالة وجودها). كما توضح لهم مظاهر استفادتهم من المشروع والدور الذي ينبغي أن يلعبوه في تطويره واستمراريته[4]. كما تسمح المقاربة التشاركية بتنشيط التفكير بين مختلف وجهات النظر، لتحديد نقاط الاختلاف الرئيسية وإيجاد الطرق التي تؤدي إلى توافق في الآراء[5].

وتستند المقاربة على مراعاة الخصوصيات المحلية، وتشخيص اتجاهات الفاعلين والمستهدفين بالمشروع التنموي من ساكنة وجمعيات ومستثمرين وإشراكهم في كافة مراحل المشاريع التنموية، مما يفرض على الجغرافيا التطبيقية، كاتجاه يوظف خبرة وقدرات الجغرافيين في تحقيق التنمية، ملاءمة أدواتها مع وظائفها الجديدة، التي لم تعد تقتصر على الوصف والفهم ودراسة العلاقات، وإنما أيضا تقديم تصورات بديلة يمكن تفعيلها على أرض الواقع.

وسيعالج المقال في محور أول، تشخيصا معمقا للمجال المدروس، وفي محور ثاني، صياغة لأهم التوجهات لإعادة هيكلة وتنمية دوار أزرو.

1. التشخيص العام للخصوصيات السوسيومجالية لدوار أزرو

يقع دوار آزرو على الضفة اليسرى لوادي غيغاية عند قدم جبل كتلة توبقال بسلسلة الأطلس الكبير الغربي (منطقة الدير). كما يشرف الدوار، الواقع على ارتفاع 1000 متر فوق سطح البحر، على سهل الحوز، ويتبع إداريا للجماعة القروية لأغواطيم (تحناوت سابقا)، إقليم الحوز بجهة مراكش

1- أنجزت المجموعة دراسة سوسيو مجالية واقتصادية واجتماعية لفائدة "جمعية تنمية عالم الأرياف" النشيطة بإقليم الحوز، والتي تعمل بشراكة مع برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بجهة مراكش تانسيفت الحوز. وتعتبر المشاركة في المشروع، تجسيدا لانفتاح الجامعة على محيطها الاجتماعي والاقتصادي والجمعوي.

2- موسى المالكي، 2014: المقاربة التشاركية لتنمية للمناطق الجبلية: "تثمين المنتوجات المحلية بحوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي"، أطروحة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ موسى كرزازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، غير منشورة.

3- شافية خرواش، المصطفى عزة وسناء سريفل، 2011: نحو مقاربة مجالية لتأهيل المجالات الريفية الجبلية: حالة دوار أزرو بالأطلس الكبير الغربي، بحث لنيل الإجازة، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، (غير منشور).

4- المالكي موسى، 2014، سبق ذكره.

5- FAO- Qualité et Origine, 2012 : Identifier les produits de qualité liée à l'origine et leurs potentiels pour le développement durable (Une méthodologie pour des inventaires participatifs), p18.

تانسيفت الحوز (خريطة التوطين 1)[6]، فلا يفصله عن العاصمة السياحية للمغرب مراكش الحمراء سوى 35 كلم. وقد استفاد الدوار من جواره لمقر بلدية تحناوت ومقر عمالة إقليم الحوز. كما استفاد أيضا، من قربه من العاصمة الجهوية مراكش، كسوق استهلاكية مهمة للمنتجات الفلاحية والتقليدية، ومصدر مهم لفرص الشغل في قطاع البناء والخدمات[7]. مع إشرافه على الطريق الجهوية رقم 203 الرابطة بين مراكش وتارودانت مرورا بأغواطيم.

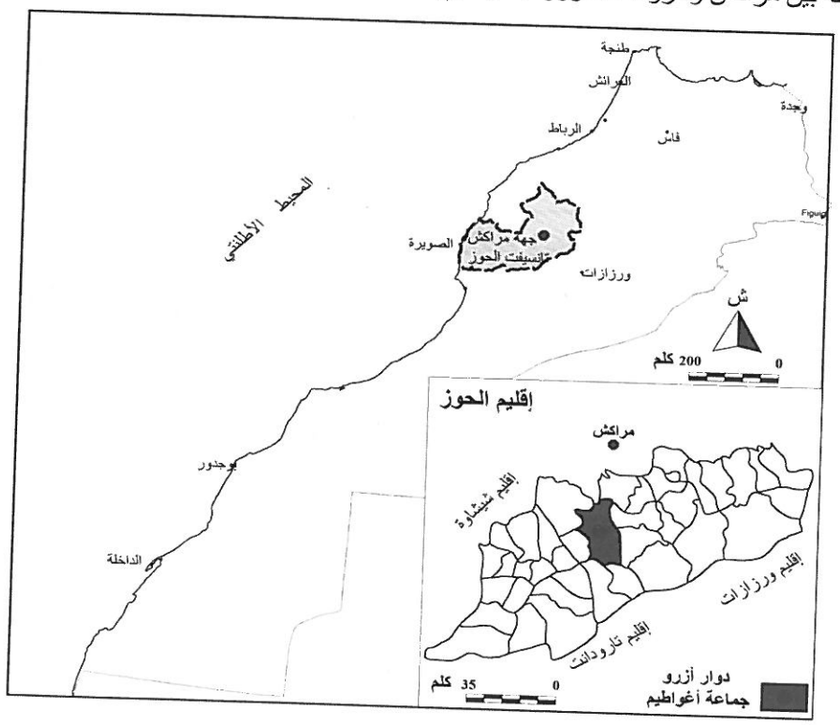

خريطة 1. توطين مجال الدراسة، دوار أزرو- دائرة تحناوت.

1.1. الخصوصية العمرانية والتاريخية لدوار آزرو

ترجع تسمية الدوار إلى معنى الكلمة الأمازيغية (أزرو) التي تعني الصخرة، لكونه يقع على سفح متضرس بصخور بارزة. أما شكل السكن، فيتميز بطابع معماري أصيل، وينتمي للسكن الريفي الصلب المتجمع. ويسود الاعتماد في هذه المنطقة على البناء بالمواد المحلية، من تراب وأحجار وقصب وأعمدة خشبية، وجميعها مواد متوفرة على جنبات وادي غيغاية، مع تسجيل دخول الإسمنت في العقدين الأخيرين للنسيج المبني. أما المساكن، فغالبا ما تتشكل من طابقين، وترتبط بها ملحقات ك"الزريبة"، لإيواء القطيع المتواضع في عدد رؤوسه. ومن المعروف أن البناء بالمواد المحلية يمنح السكن خاصية المكيف الطبيعي، بمقاومته لشدة الحرارة صيفا، واحتفاظه بدفء المسكن شتاءا. هذه الدراية المحلية الموظفة في السكن تمنح المنطقة خاصية معمارية فريدة، وتترجم الحضارة العريقة للمجتمع المحلي.كما تعكس الهوية الجغرافية الأصيلة لأودية الأطلس الكبير الغربي، التي

6- نتيجة ترقية مركز تحناوت إلى مصاف بلدية، تم الحاق المجال الترابي التابع سابقا لجماعة تحناوت لفائدة الجماعة القروية الجديدة أغواطيم.

7- على سبيل المثال لهذا الترابط وتسهيل الاتصال، تغطي حافلة النقل الحضري رقم 35 خدمة النقل بين مركز تحناوت والدواوير المجاورة له وبين مدينة مراكش، بثمن تذكرة لا يزيد عن 6 دراهم للرحلة الواحدة.

تشكل عنصر جاذبية للسواح من داخل الوطن وخارجه. إلا أن البنايات والإصلاحات الجديدة بالدوار، أخذت تستعمل الاسمنت المسلح في البناء، وهو ما يدق ناقوس الخطر المحدق بالنمط المعماري والحضاري الأصيل.

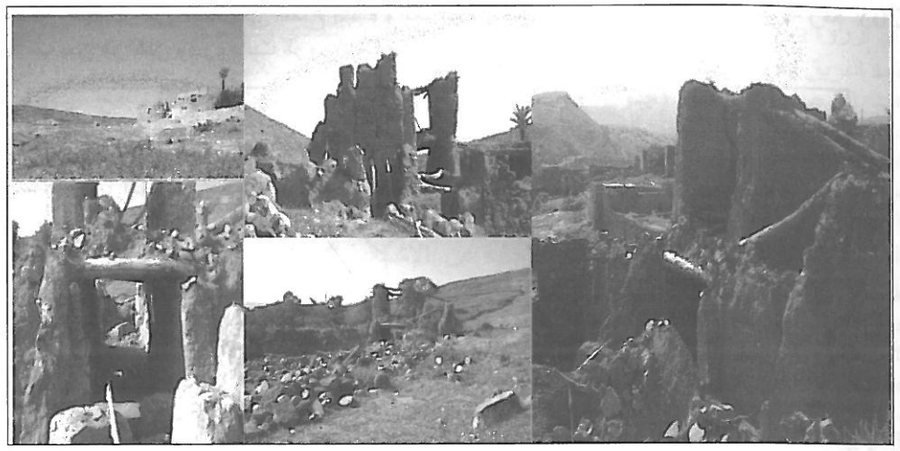

المصدر: البحث الميداني15-16 ابريل 2011

صورة 1. تدهور المآثر التاريخية (المدرسة الفرقانية نموذجا)

وتزكي الذاكرة التاريخية الغنية، العديد من المآثر التاريخية؛ مثل مقر قاضي غيغاية "بن مبارك الفرقاني". ومنه استمدت المدرسة الفرقانية اسمها، وشكلت معينا لطلبة العلم من المناطق المجاورة الراغبين في حفظ القرآن، قبل أن تتحول إلى مجرد أطلال (صورة 1). ونفس المصير ينطبق على بقايا عدة مطفيات تقليدية استعملت سابقا لتجميع المياه، ومعاصر تقليدية قديمة للزيتون تعتمد على طاقة الدواب، في ارتباط مع سيادة غراسة أشجار الزيتون بمحاط الدوار. كما يحافظ الدوار على آثار لمجموعة من المطاحن التقليدية للحبوب، والتي كانت تعتمد على الطاقة التي تولدها قوة اندفاع المياه. إلا أنها هي الأخرى تعاني من وضعية متقادمة ومتدهورة، وعلى شواهد "مطامر" لخزن الحبوب. وقد ساهم تواجد ضريح الولي الصالح عبد الله الكبير في الإشعاع الثقافي لدوار أزرو. فقد ظل يحظى إلى عهد قريب باحتفال سنوي ،"موسم"، يحضره أشراف المنطقة، وتطبعه طقوس احتفالية عريقة. ونفس الإشعاع كانت تمثله الزاوية الفرقانية التي تعرضت بفعل الزمن وغياب الصيانة، للهدم (خريطة 2).

وتتعرض مجمل المميزات الثقافية والدرايات المحلية لخطر الاندثار النهائي، بسبب الإهمال وانعدام الصيانة لتراث حضاري إنساني وثقافي. يضاف إلى ذلك، عوامل أخرى مرتبطة بانتشار العولمة والعصرنة، وشق الطرقات واهتمام وسائل الاعلام والاتصال بالمنطقة. فالهوائيات الرقمية أضحت تغطي معظم أسطح بنايات الدوار، في دلالة اجتماعية عميقة على التفتح الذي يشهده، وتفاعل سكانه مع المؤثرات الخارجية والتي قد تهدد استمرارية تراثه وحضارته العريقة في بعض الجوانب[8].

2.1. أنشطة اقتصادية متنوعة لكنها متواضعة

تتميز الأنشطة الاقتصادية السائدة داخل دوار أزرو بالتنوع، بحيث تجمع ما بين الزراعة وتربية الماشية والصناعة التقليدية والنشاط السياحي. إلا أنها تتميز في نفس الوقت بالتواضع، وتعاني من مجموعة من التحديات والمخاطر على مستويات الإنتاج والتسويق (خريطة 2 وجدول 1).

[8]- الملاحظات مستقاة من الميدان خلال إجراء المقابلات وملء الاستمارات مع أرباب الأسر والحرفيين بورشاتهم التقليدية.

الجدول 1: تشخيص تركيبي لواقع النسيج الاقتصادي بدوار آزرو

القطاعات	مواطن القوة	مواطن الضعف	الفرص	المخاطر	التوجهات و الإقتراحات
الفلاحة	- توفر موارد مائية سطحية (واد غيغاية)، وباطنية. - وجود تربة خصبة على ضفاف المجرى المائي. - شبكة سواقي تقليدية. - تنوع منتوجات الرستاق	- فلاحة هشة تعاني من سوء تدبير مياه السقي. - ازدواجية الفلاحة المعاشية والتسويقية. - قدم السواقي. صغر الملكيات.	بناء جدران وقائية من فيضانات الواد لحماية الممتلكات. معالجة الشعاب وتحسين جودة السواقي. (المديرية الاقليمية للفلاحة)	خطر فيضانات وادي غيغاية	مخطط المغرب الأخضر
الصناعة التقليدية	- تنوع الصناعة التقليدية (الحلي، الفخارة، النسيج). - تطوير الصناع لمنتوجاتهم في ارتباط مع متطلبات السوق، مع الحفاظ على الهوية	- الإعتماد على وسائل عمل خطيرة (قنينات الغاز). -غياب فضاء للتأطير و العمل والتسويق. -ا لحاجة إلى المواد الأولية بعين المكان. - هيمنة الوسطاء.	بناء مجمع للصناعة التقليدية يعرف بمنتوجه على جميع المستويات. تجمع الصناع التقليديين في إطار تعاونية. (وزارة الصناعة)	حوادث الشغل (استعمال قنينات الغاز لإذابة المعادن دون توفر أدنى شروط السلامة).	- برامج وطنية لدعم الصناعة التقليدية. - القرب من سوق مراكش الواعد.
السياحة	- مؤهلات سياحية وتراث تاريخي عريق. - مشاهد متنوعة وجذابة. كرم الضيافة وجود صناعة تقليدية متنوعة	- سياحة عابرة. - غياب كلي للبنيات السياحية (المأوي المرحلية) واليد العاملة المؤهلة. ضعف إقبال المستثمرين.	الترويج الإعلامي للسياحة بالدوار. بناء تجهيزات لاستقبال السواح. تشييد معرض لتسويق المنتوجات التقليدية. (وزارة السياحة)	الضغط على الأوساط الطبيعية وعلى الموروث التاريخي الفني والمعماري (مستقبلا).	برامج تنمية السياحة الجبلية القرب من العاصمة السياحية للمغرب مراكش

المصدر: مجموعة البحث حول الأرياف

1.2.1. نشاط فلاحي يجمع بين المعاشي والتسويقي

يتيح توفر الموارد المائية والترابية بمنطقة الدير، إمكانية ممارسة نشاط فلاحي متنوع. بحيث تهيمن غراسة الأشجار المثمرة وفي مقدمتها أشجار الزيتون لأغراض تسويقية، وفي درجة ثانية كل من السفرجل، المشمش، البرقوق والتفاح. إضافة إلي زراعة الخضر والقطاني، بغرض الاستهلاك الذاتي أساسا، والمزروعات العلفية (الفصة والبرسيم والشعير)، بغرض تزويد القطيع (الأبقار) بحاجياته الغذائية (خريطة 2). مما يفسر تنامي لتربية الأبقار، بالنظر إلى عائدات لحومها وألبانها. أما قطعان الماعز، فتعتمد على نشاط الرعي التقليدي في السفوح المجاورة، فيما يشهد قطيع الأغنام تراجعا ملحوظا. ويعتمد النشاط الزراعي على السقي بشكل أساسي بفضل مياه وادي غيغاية. إلا أن الفيضانات الموسمية لهذا الأخير، تؤدي في بعض الحالات إلى تحطيم شبكة السواقي التقليدية وجرف التربة الزراعية وإتلاف المحاصيل.

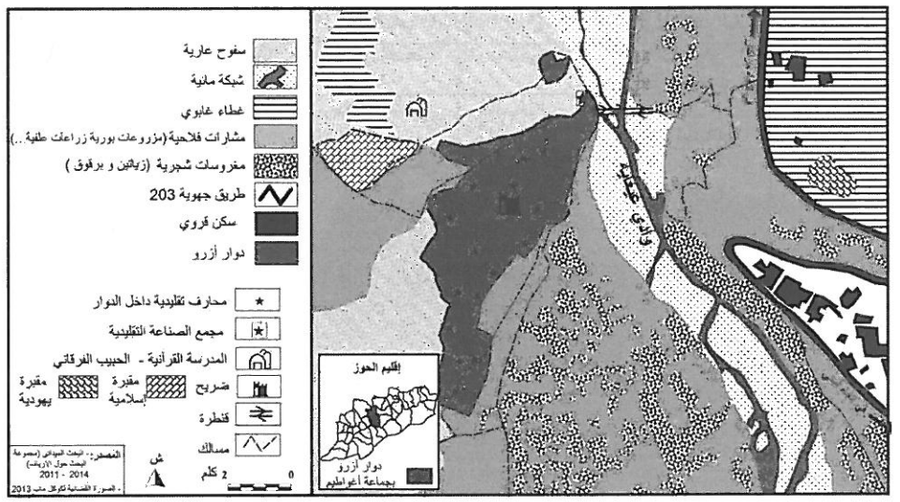

خريطة 2. استعمال المجال بدوار أزرو، دائرة تحناوت، إقليم الحوز

2.2.1. صناعة تقليدية تكميلية.

تمارس الصناعات التقليدية من قبل فئة مهمة من الساكنة النشيطة داخل دوار أزرو، وتتوزع بين مصوغات الحلي الفضية والنحاسية (العقيق، العقد)، والحياكة والزرابي (خريطة 2). وتستعمل البيوت مقرات رئيسية لمثل هذه الصناعات، مع ما يحمل ذلك من أخطار على أفراد الأسر المعنية، بسبب استعمال قنينات الغاز بمحلات ضيقة ودكاكين غير مهيأة لذلك، في عملية تذويب المعادن المستعملة. وتعتبر مراكش المصدر الرئيسي للتزود بالمواد الأولية ولبيع المنتوجات المصنعة. أما النسيج -الزرابي- فمرتبط بالمرأة، ويتوافق مع خصوصيات الأسرة الأمازيغية المحافظة، وأوقات فراغ النسوة، ولا ضير من ممارسته داخل البيوت (جدول 2). إلا أن تسويق المنتوجات التقليدية يتطلب الإشهار والعرض، بدل الطابع المتكتم وشبه السري الذي يتخذه النشاط داخل الدوار، في إطار ورشات عمل بسيطة. فالتعامل يكون مع وسطاء معروفين مسبقا، وبناء على طلبات محددة في كثير من الأحيان، مما يحرم الصناع من هامش الربح، ويضفي الطابع الموسمي على نشاطهم. وتعتبر الصناعة التقليدية مورد عيش مكمل للنشاط الفلاحي. وتتوزع الوحدات الانتاجية حسب نوع الصناعة وجنس الصانع (خريطة 2، جدول 2).

وتوضح نتائج البحث الميداني هيمنة صناعة الحلي المرتبطة بفئة الذكور (صورة 2)، في حين تختص النساء بالمنتجات النسيجية التقليدية، غير أنه يصعب تكميم عدد النساء المعنيات بهذا النشاط.

جدول 2 : عدد الوحدات الإنتاجية (المحصية) للصناعة التقليدية بالدوار حسب الجنس

فروع الصناعة التقليدية	عدد الوحدات الإنتاجية	عدد الصناع	
		ذكور	إناث
الزرابي	4	-	4
الخياطة والطرز	3	1	2
منتوجات نحاسية	3	3	-
الحلي	8	8	-
المجموع	18	12	6

المصدر: البحث الميداني أبريل 2011

فغياب أوراش خاصة يجعل الحياكة ممارسة منزلية مخفية داخل البيوت، وبالتالي، لا يمكن حصر عدد الممارسات لحرفة النسيج في ثلاث نسوة. وإنما أدرجت هذه الحالات، لتأكيد وجود النشاط ودوره في تأثيث بيت الأسرة ودر عائد إضافي، يساهم في مكافحة الفقر، نظرا لانخفاض المستوى المعيشي للأسر. وقد مكنت عملية جرد النشيطين في الصناعات التقليدية بدوار أزرو من إحصاء 36 صانع وصانعة تقليدية (19 رجلا و17 امرأة)[9]. مما يؤكد أهمية النشاط في الدوار الذي لم تتجاوز ساكنته 300 نسمة، تتوزع على 54 أسرة حسب الإحصاء العام لسنة 2004.

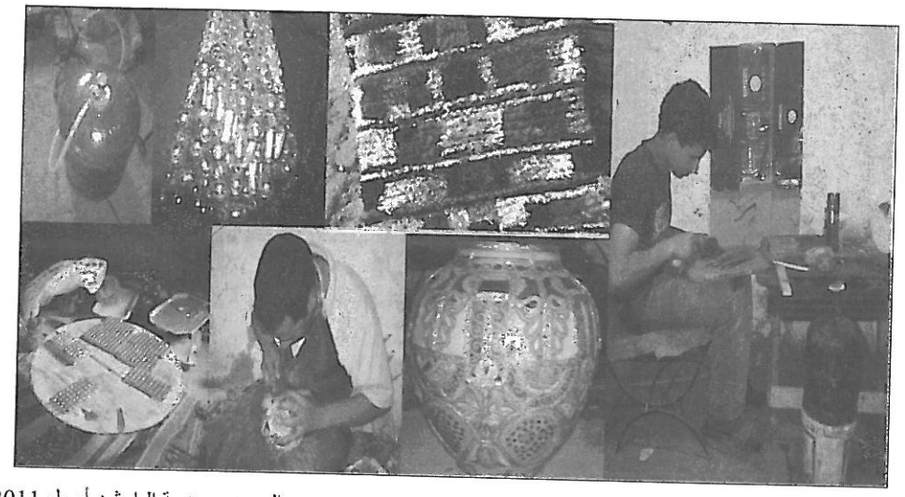

المصدر: عدسة الباحثين أبريل 2011

الصورة 2 . جانب من الصناعات التقليدية المتوفرة بدوار أزرو

3.2.1. آفاق واعدة لسياحة عابرة

أضحت السياحية تمثل قطاعا استراتيجيا في برامج التنمية بالمغرب ؛ خاصة بفضل تبني رؤية 2010 ونظيرتها ل 2020 والمخطط الأزرق والإستراتيجية الوطنية لتنمية السياحة القروية. ومنح تنامي أشكال جديدة من السياحة الجبلية والتضامنية والسياحة الإيكولوجية مع مطلع الألفية الثالثة، زخما جديدا لمستقبل القطاع في المناطق الجبلية. ورغم ذلك، لم ينل دوار آزرو، أي اهتمام بهذا الصدد، على الرغم من المؤهلات السياحية التي يزخر بها، وتوافد دفعات من السواح المغاربة والأجانب، العابرين للمشاهد السياحية الجميلة التي يزخر بها حوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي. ومنها التجمعات السكنية الأصيلة التي تمثلها الدواوير المطلة على وادي غيغاية، وفي مقدمتها دوار أزرو، الذي يعتبر أحد المحطات الأساسية التي يقف عندها السياح. لكنهم يكتفون بمرور الكرام، لالتقاط بعض الصور والاستمتاع بجمالية المنظر. لكون الدوار، يفتقد لبنيات استقبال، من مآوي ومطاعم وأوراش لعرض منتجات الصناعة التقليدية، أو حتى فضاءات للتعريف بالتراث الحضاري الذي تزخر به المنطقة. ويحظى الدوار بمنصة طبيعية في السفح المقابل (الضفة اليمنى لمجرى غيغاية)، تمنح رؤية بانورامية تستغل لوقوف سيارات الدفع الرباعي(صورة 3). وتستثنى ظاهرة

9- معطيات مستقاة من مقابلة مع نائب رئيس جمعية تنمية عالم الأرياف السيد محمد مشارك بتاريخ 11 دجنبر 2012.

بعض الصناع التقليديين الذين شرعوا في عرض منتجاتهم للسواح بهذه الساحة، لكن بشكل محتشم وغير منتظم على شاكلة الباعة المتجولين.

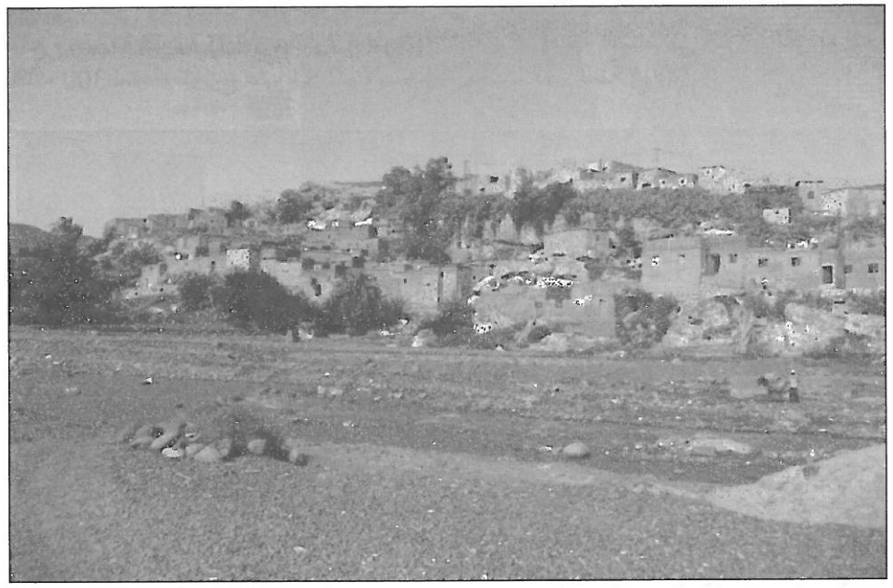

الصورة 3 :مشهد عام لدوار آزرو المطل على وادي غيغاية

ويمثل محاط الدوار في حد ذاته مسارا سياحيا رائعا، من خلال التجول بين ثناياه، ووسط الاستغلاليات الفلاحية المسقية. في هذا الصدد، اقترح فريق البحث مسارا سياحيا غنيا وممتعا يمكن أن يشغل نصف يوم أو يوما كاملا، يسمح بجولة مفيدة وممتعة، تتفقد فيها المآثر العمرانية والتاريخية، وعبور السواح للمشارات الفلاحية ومنظر السواقي التقليدية تحت ظل الأشجار الوارفة، والاستمتاع بخرير المياه وتغريد الطيور. وتنتهي الجولة بتناول وجبة غذاء من صميم المطبخ المحلي الأصيل وبمنتجات "بلدية"، على ضفاف وادي غيغاية في الهواء الطلق، بالاعتماد على منتجات الرستاق: اللبن، والخضر الطازجة، والكسكس المحلي. ويمكن أن تربط نفس الجولة بين الدواوير المجاورة (دوار الصور، دوار تاخيامت، وزاوية بوحيثة).

3.1. بنيات تحتية متدهورة

يقابل توفر ساكنة دوار أزرو على الكهرباء، تذبذب في التزود بمياه الشرب من خلال اقتناء مضخات لجلب المياه من البئر المحفور بجانب المجرى المائي لغيغاية، وضخها نحو خزانات بلاستيكية ضعيفة الجودة بأعلى الدوار. ومن ثم، إعادة توزيع المياه على ساكنة الدوار، عبر شبكة مخصصة لنفس الغرض، تدبرها الجمعية المحلية التابعة للدوار. وهو خيار يظهر ناجعا للوهلة الأولى، لولا التخوف من مدى جودة مياه البئر وضرورة التأكد من الشروط الصحية لاستهلاكها. خاصة وأن الدوار يفتقد لشبكة تصريف المياه العادمة. لذا، فهي تفرغ في حفر منزلية أو تقذف بشكل طبيعي نحو الوادي عبر قنوات مكشوفة، مهددة بذلك، تلويث كل من مياه الوادي ومياه الفرشة الباطنية (جدول 3). كما أن جريان المياه العادمة بين بعض أزقة الدوار يسيء إلى جمالية المشهد، ويزيد من احتمالية التلوث والتعفن وتكاثر الطفيليات، إضافة إلى تكدس ركامات النفايات في بعض الأبنية الفارغة، والشعاب المجاورة، قبل أن يتم حرقها لاحقا.

الجدول 3: تشخيص تركيبي لواقع البنيات التحتية والخدمات الأساسية بدوار آزرو

القطاعات	مواطن القوة	مواطن الضعف	الفرص	المخاطر	التوجهات و الإقتراحات
الماء الصالح للشرب	فرشة مائية باطنية قريبة من السطح. توفر بئر خاص بضخ الماء الشروب.	-ضعف تجهيزات ربط المساكن بشبكة الماء. -غياب المراقبة المستمرة لجودة المياه.	دعم المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لمشاريع التزود بالماء الشروب.	خطر تلوث الفرشة المائية، بتسربات الصرف الصحي.	-بناء صهاريج إسمنتية لتجميع المياه. - تعزيز شبكة الربط. (المديرية الاقليمية للتجهيز)
التطهير السائل		-غياب شبكة الصرف الصحي. -الطبيعة الجبلية الوعرة للمنطقة. -حالات تصريف مباشر في الطبيعة.	إمكانية الاستفادة من جمعيات داعمة لتأسيس شبكة الصرف الصحي	تدهور المحيط البيئي جراء تلوث وادي غيغاية والفرشة المائية الباطنية.	بناء محطة صغيرة لمعالجة المياه العادمة. (المديرية الاقليمية للتجهيز)
الطرق	القرب من الطريق الجهوية 203 الرابطة بين مراكش وتارودانت. وجود طريق في طور الإنجاز.	مسالك غير صالحة لمرور جميع أنواع السيارات. -غياب الإمكانيات المادية اللازمة لفتح وتوسيع المسالك. -ضعف المسالك. -كثرة الشعاب.	إصلاح الطرق قصد الولوج	خطر وقوع الحوادث نتيجة وعورة المسالك داخل الدوار.	-تكثيف المسالك لتسهيل الولوجية. - صيانة الطرق بصفة مستمرة ومنتظمة. -بناء قنطرة جديدة على وادي غيغاية. (المديرية الاقليمية للتجهيز)

المصدر: مجموعة البحث حول الأرياف

4.1. فراغ وتهدم البنايات شاهد على الهجرة بالدوار

إن أول ما يقف عليه الوافد على دوار أزرو هو تهدم العديد من بناياته وتصدع بعض من جدرانها وتضرر جزء من معالمها. وإذا كانت البنايات المتهدمة تؤشر على هجرة أصحابها وتدق ناقوس الخطر حول تناقص أعداد الساكنة بالدوار، فإنها تعتبر في نفس الوقت مصدرا للعديد من الانعكاسات السلبية على البقية المستقرة من السكان. فبالإضافة لكون البنايات المتهدمة والمنهارة تعتبر مرتعا خصبا للحشرات السامة والحيوانات الضالة (عقارب، ثعابين، قطط، كلاب،..) فهي تشجع عمليا الساكنة على إلقاء النفايات فيها، والتسبب في تلويث الدوار.

2. المقاربة التشاركية ودورها في صياغة مشروع إعادة هيكلة دوار أزرو

1.2. تجليات المقاربة التشاركية في مشروع أزرو

طبعت المقاربة الترابية التشاركية كامل فصول تصور مشروع إعادة هيكلة وتأهيل دوار أزرو، بداية من التشخيص، ووصولا إلى الصياغة النهائية للمشروع. فجمعية تنمية عالم الأرياف التي تتبنى المشروع وتشرف عليه، قد نجحت في نسج علاقة وثيقة بين كافة الشركاء. بل إن الساكنة ساهمت عمليا في رسم محاور المشروع والالتزام بمضامينه (مرحلة انخراط الساكنة في المشروع). وحينما اتضحت معالم الاحتياجات، فتحت الجمعية جسور التواصل مع الجامعة من خلال الانفتاح

على "مجموعة البحث حول الأرياف"، لإنجاز دراسة سوسيو مجالية واقتصادية للدوار، تشخص مؤهلاته وإكراهاته، لتخلص إلى نتائج تساعد علي صياغة مشروع تنموي يتناسب مع خصوصياته.

وسعت إلى الحصول على تمويل للمشروع من خلال محاولة إقناع السلطات، وفي مقدمتها عمالة إقليم الحوز، بجدوى المشروع. وهي نفس الخطوة التي قامت بها تجاه كل من الوكالة المائية لحوض النفيس والمجلس الاقليمي للتجهيز والتعاضدية الفلاحية. بل نسقت نفس الجمعية، أيضا مع مستثمرين خواص لتشجيعهم على الاستثمار في المجال السياحي. وتم ربط الاتصال بمركز الأرض بمراكش الذي يشرف عليه مهندسان معماريان شهيران: أحدهما مغربي والآخر فرنسي، لتنظيم دورات تكوينية لحرفيي الدوار في الطرق والتقنيات الحديثة للبناء بالتراب. ويأتي تفاعل مجموعة البحث مع المشروع[10]، في إطار ترسيخها لأسس ثقافة انفتاح الجامعة على محيطها الاجتماعي والتنموي. الشيء الذي يدخل ضمن قناعة راسخة تدافع عن تصور العلم النافع والبحث العلمي والتطبيقي في خدمة التنمية.

وتتطلب عملية التنسيق بين جميع الأطراف المعنية بمشروع تنموي ما، جهدا كبيرا وقدرات عالية على التواصل والإقناع وتقريب وجهات النظر. مما يؤهل الباحث الجغرافي للاضطلاع بأدوار جديدة في عملية التنمية، تضيف إلى الوصف والتحليل، المشاركة الفعلية والخوض في العناصر غير المادية للتنمية. ونقصد بهذه العناصر، كل ما لا يمكن توطينه أو ملاحظته المباشرة في الميدان، مثل المؤثرات المجردة كالأفكار والقناعات، ونوع العلاقات التي تربط بين الفاعلين. ولهذا، فالجغرافية التطبيقية تفتح آفاق واسعة للباحث الجغرافي حتى يقتحم ميدان التنمية التشاركية من أبوابه الواسعة. وأن يجعل من علمه ومعرفته أداة طيعة في خدمة التنمية وتحسين ظروف عيش السكان وتبني مقاربات متوافقة مع خصوصيات المجال، على المستويين الطبيعي والبشري.

2.2. مفاتيح مشروع إعادة هيكلة وتهيئة دوار أزرو

مكن تضافر جهود مختلف الأطراف المتدخلة في المشروع في تحديد مفاتيح إعادة هيكلة وتهيئة دوار أزرو بشكل تشاركي. وهكذا ساهمت التعاضدية الفلاحية (مامدا)[11] ب400 مليون سنتيم، والمجلس الإقليمي ب20 مليون سنتيم، والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية ب 20 مليون سنتيم. كما أنجز بقية الشركاء مختلف الدراسات الخاصة بالمشروع بشكل مجاني. وجدير بالذكر، أن التنسيق مع حفدة القاضي الفرقاني، دفعهم إلى التبرع بالأرض وتفويضهم الجمعية حرية التصرف في منزل العائلة بتحويله إلى دار ضيافة، وبإعادة بناء المدرسة الفرقانية وبعض ملحقاتها؛ الشيء الذي حل الإشكال العقاري. كما تعهد ورثة القاضي بإرجاع جميع المخطوطات والوثائق الأرشيفية والتاريخية الخاصة بالمدرسة التي لازالوا يحتفظون بها إلى اليوم (2015). وهكذا سيتم إنجاز المشروع تبعا لأربعة أشطر، وسيركز على عدة مفاتيح تنموية.

1.2.2. تثمين الموروث الثقافي والتراث العمراني

سيعمل مشروع أزرو على إعادة الاعتبار للمآثر التاريخية والعمرانية. وقد تمت فعلا عملية إعادة ترميم كل من المدرسة الفرقانية والضريح وفقا للتصاميم الأصلية. وتجري محاولة إرجاع الروح للمدرسة الفرقانية عبر فتحها من جديد في وجه أبناء الدواوير المجاورة من الراغبين في تحصيل العلوم الشرعية وتعلم القرآن الكريم. وفي مرحلة ثانية، ينبغي أن تحظى المطاحن التقليدية للزيتون والحبوب وكذا المطامر والمطافي بنفس الاهتمام والترميم. إن لم يكن بغرض الاستعمال المباشر، فمن أجل أن تشكل محطة توقف لزيارتها، ضمن مسار سياحي محتمل برمجته. ونفس الشيء يمكن تطبيقه، بإعادة الاعتبار للمعمار المحلي ومقاومة زحف الإسمنت المسلح على دواوير المنطقة في

[10]- المجموعة احتفلت خلال شهر ماي 2012 بالذكرى العاشرة لتأسيسها عبر تنظيم ندوة وطنية حول موضوع: **"البحث العلمي في المجال الريفي المغربي: حصيلة وآفاق"**، التظاهرة نظمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وشكلت مناسبة أيضا لتكريم منسقها الأستاذ موسى كرزازي.

[11]- La Fondation Action Mutualiste MAMDA-MCMA.

مراحله الأولى. تبعا لذلك، سيتم إنشاء مركز للبناء بالتراب وسيشكل ورشا لتكوين حرفيين مختصين "المعلمين"، وخاصة الشباب منهم، في تقنيات وقواعد البناء الإيكولوجي، بتوظيف المواد الأولية المحلية. وسيشرف على هذا الورش، خبراء ومهنيون تابعون ل"مركز الأرض" بمراكش[12].

2.2.2. النهوض بأوضاع الصناع التقليديين داخل الدوار

أوضحت الدراسة بأن الصناع التقليديين يعانون من عدة مشاكل تقلص من مداخيلهم وتطبع نشاطهم بالموسمية وتجعله مرهونا بتلبية مزاج الوسطاء والتجار بمراكش. الشيء الذي يتطلب تدخلا عاجلا، ينبني على الإشراك الحقيقي للصانع التقليدي في كل المراحل، من الإنتاج إلى التسويق. وهذا التدخل ينبغي أن يحسن من ظروف الإنتاج مع تطوير الأدوات والتقنيات، دون المس بأصالة المنتجات. ولابد لتطور مماثل أن يعمل على تكوين أجيال جديدة من الصناع التقليديين للحفاظ على المهارات والدرايات المحلية المعرضة للتراجع والاندثار. كما سيمكن تأسيس تعاونية، من توحيد صفوف الصناع. خاصة في أفق إحداث مركب للصناعة التقليدية داخل الدوار[13]، بهدف توفير فضاء مناسب للعمل دون أية خطورة على صحتهم أو حياتهم. وسيساعد إلى حد كبير على مضاعفة جاذبية الدوار، وتنشيط ديناميته الإقتصادية ورفع معدل التسويق المحلي، وبالتالي، الحد من هجرة السكان تجاه مراكز مجاورة.

3.2.2. إحداث بنيات سياحية وخدماتية.

يهدف مشروع إعادة هيكلة وتهيئة دوار أزرو لبرمجة مأوى مرحلي عبر تهيئة مسكن خاص لهذا الغرض، وبناء دار للضيافة ومقهى ومطعم. وكذا إنشاء "مرصد" مقابل للدوار، انطلاقا من الفسحة التي يقف عندها السواح العابرون لالتقاط الصور. وسيتم تهيئة هذا الموقع ليشكل محطة استقبال تغري بمعرفة المزيد عن الدوار. ويضاف إلى ذلك، رسم وتطوير مسار سياحي يقوم خلاله الزوار بجولة شاملة بين ثنايا الدوار يقفون فيها، وعن قرب، على كافة معالمه التاريخية والعمرانية والثقافية ومنشآته الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك معرض الصناعة التقليدية وأوراش الحرفيين (خريطة 2). ويعتبر التعريف بالمؤهلات السياحية للدوار أمرا ضروريا ليتنامى حجم التردد عليه، ويتحول إلى موقع سياحي له موقعه ومكانته المستحقة. وهنا يمكن إحداث موقع الكتروني يعرف بالدوار على الشبكة العنكبوتية. وأيضا اعتماد علامات ولافتات تعريفية بالدوار وبأهم الخدمات التي يقدمها للزوار. كما يمكن تخصيص مكتب استقبال يوزع مطويات تعريفية بالدوار وبتاريخه والمواقع السياحية التي يضمها والتراث المحلي الذي يزخر به. وفي هذا السياق، ينبغي الاتصال بوكالات الأسفار بمراكش والتنسيق مع المرشدين السياحيين المعتمدين بالمنطقة، لبرمجة الدوار ضمن الجولات التي تشرف عليها وكالات الأسفار المعنية وهؤلاء المرشدين.

4.2.2. تعزيز البنيات التحتية

يدخل تعزيز البنيات التحتية للدوار ضمن صلب محاور مشروع إعادة هيكلة وتأهيل أزرو، وذلك لما لها من انعكاس إيجابي مباشر على الحياة اليومية للساكنة المحلية، وعلى تنشيط باقي القطاعات الاقتصادية والتشجيع على الاستثمار. وهكذا شيدت قنطرة جديدة على وادي غيغاية تربط الدوار بالطريق الجهوية، وتسمح بمرور السيارات وجميع أنواع المركبات المدنية. بالإضافة إلى الشروع في تهيئة الأزقة لتسهيل عملية التنقل بين أرجاء الدوار. ويعتبر المشروع المهم، في هذا الإطار، إقامة شبكة لتصريف المياه العادمة، تستوعب أيضا مياه الأمطار وتخفض بذلك من خطر التعرية والانهيارات الصخرية التي تهدد السكان. وستعتمد على توجيه المياه العادمة نحو محطة تصفية بيولوجية مغطاة تمنع تسرب أي روائح غير مرغوبة.

ويعتبر تخصيص شبكات لتمرير الأسلاك الكهربائية في قنوات مخصصة تحت أرضية أمرا مهما للغاية، لأن بروزها يشوه المنظر الجميل للدوار. ونفس الشيء بالنسبة لتزويد الساكنة بالماء الشروب انطلاقا من البئر، الذي أكدت الدراسة التي قامت بها وكالة الحوض المائي لتانسيفت، جودة مياهه

[12]- Centre de la Terre

[13]-قام فريق البحث بزيارة ميدانية في شهر أبريل 2014 للمنطقة بغرض تحيين المعلومات والمعطيات، وهو ما انعكس على وضع خريطة تراعي المستجدات على الميدان (خريطة 2)

وصلاحيتها للشرب. يضاف إلى كل هذا، تهيئة موقف خاص بالسيارات بسافلة الدوار يستوعب 100 سيارة، وكذا مسلك يحيط بالدوار، ويمثل في نفس الوقت مدارا للبناء لا يمكن تجاوزه.

وسيمثل دوار أزرو، في إطار مشروع إعادة هيكلته وتأهيله، محاولة لإعطاء مثال حي عن التدبير المثالي فيما يخص اقتصاد الطاقة والمياه. فقد عملت جمعية تنمية عالم الأرياف على تشجيع استعمال المطابخ الشمسية. بحيث سيتم العمل على تعميم تسخين المياه بالطاقة الشمسية. وكذا ايجاد السبل لاستعمال نفس الطاقة في إعادة ضخ المياه المستعملة التي تمت معالجتها في محطة التصفية، بغرض توظيفها في السقي.

خاتمة

إن التركيز على دوار أزور يعتبر وقفة، استهدفنا من خلالها تسليط الضوء على إشكاليات أعمق وأشمل توحد معظم الدواوير المطلة على أودية الأطلس الكبير الغربي وفي مقدمتها وادي غيغاية. ولذلك فإن أية تدخلات تنموية بالمنطقة، ينبغي لها أن تتسم بطابع الشمولية وبتوظيف المقاربة الترابية والتشاركية.

وبفضل تركيزنا على العمل تشخيص معمق اعتمد على الميداني والاحتكاك بالساكنة وأطر جمعيات القرب التنموية المحلية، وفي مقدنتها جمعية تنمية عالم الأرياف التي يرأسها جغرافي، فقد تمكنا من الوقوف على مقومات نجاح مشروع دوار أزرو، الذي أشرك السكان في مختلف مراحل المشروع. في هذا الإطار، قام فريقنا بدراسة سوسيو اقتصادية مجالية واجتماعية، كمساهمة منه في المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بإقليم الحوز. ويعتبر هذا العمل اقتراحا عمليا، لتهيئة وتنمية نموذج من الدواوير، يمكن تعميمه على دواوير مماثلة، في إطار إشكالية عامة تهم تنمية المناطق الجبلية.

كما برهنت التجربة على أهمية البحث العلمي الجغرافي، بما يوفره من قراءة شمولية للمجال عبر توظيف أدوات علمية موضوعية خرائطية وإحصائية وميدانية تيسر فهما أعمق للمجال، وتقترب أكثر من خصوصياته المحلية الدقيقة. في هذا الصدد، فإن مجموعة البحث حول الأرياف قامت بمبادرة تنسيقية ربطت البحث بقضايا المجتمع بجزء من المغرب العميق، وهذا يعكس الدور الممكن لانفتاح الجامعة عموما، والبحث الجغرافي خاصة، على المحيط الجمعوي والاقتصادي والاجتماعي في المساهمة في تحقيق التنمية المنشودة على مستويات عدة، سواء تعلق الأمر بدوار "أزرو" كتجربة مختبرية أو بمستويات مجالية أكبر كحوض غيغاية بإقليم الحوز بكتلة جبلية بالأطلس الكبير الغربي.

البيبلوغرافيا

الناصري محمد، 2003. الجبال المغربية (مركزيتها-هامشيتها-تنميتها)، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل- الرباط، الطبعة الثانية.

شافية خرواش، المصطفى عزة وسناء سريفل، 2011. نحو مقاربة مجالية لتأهيل المجالات الريفية الجبلية: حالة دوار أزرو بالأطلس الكبير الغربي، بحث لنيل الإجازة، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (غير منشور).

كرزازي موسى، 2004. مناهج البحث في الأرياف من خلال تطبيقات حول الهجرة، نشر في مناهج البحث في الوسط الريفي المغربي (تنسيق موسى كرزازي ومحمد ايت حمزة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط- سلسلة ندوات ومناظرات رقم 113.

موسى المالكي، 2014. المقاربة التشاركية لتنمية المناطق الجبلية "تثمين المنتوجات المحلية بحوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ موسى كرزازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، غير منشورة.

Zemmama Jalal 2010. Requalification du douar Azrou, Centre de la terre, ADMER, 10 pages. Document interne du projet, non publié, mars 2010.